

مراحل من تاريخ أرض كنعان

نزيه الحسن

للتوراة، إلى جانب كونها كتاباً دينياً فيه شرائع اليهود وممارساتهم التي هم مأمورون بها على أرضية عقيدية، جانب تاريخي؛ بل إن هناك أسفاراً برمتها، يشكل مجموعها طائفة نوعية لدى التصنيف، تعرف بالأسفار التاريخية^(١).

ولكن رواية التاريخ في التوراة تظهر بشكل بدائي غير مرتبط بالزمن، بالمعنى التحديدي الدقيق للتاريخ. وعلى الرغم من هذا، فقد استفاد المؤرخون الكبار، أمثال هـ. ج. ولز وأرنولد توينبي، من هذا الكتاب (التوراة) باستخدامه مفتاحاً لبعض الحوادث التي جاءت فيه، مجرين مقارنات تاريخية هامة فيما بين هذه الحوادث، لتحديد زمن وقوعها بشكل تقريبي^(٢).

ونظراً إلى هذه النقطة، نرى، أحياناً، ثغرات في ربط الحوادث التاريخية الواردة فيها، فضلاً عن أنها ليست تاريخاً عالمياً، وإنما هي تاريخ خاص لجماعة من الناس أطلقت عليهم مرة تسمية العبرانيين، ومرة إسرائيل، ومرة اليهود، على الرغم مما بين هذه المصطلحات من خلط. ونحن، هنا، سننظر إلى بعض من هذه الثغرات.

الانقطاع بين عصر إبراهيم وبين عصر موسى

تحدثنا التوراة، بعد قصة الخليفة والطوفان، عن إبراهيم^(٣). وذهب بعض الباحثين، معتمداً على وقائع تاريخية، إلى أن إبراهيم كان سيّداً من سادة البدو الذين يعيشون حياة الرعاة الرحّل في البلاد الواقعة بين مصر وابل. وقد عاش في عصر يقابل، على الأرجح، الأسرة الثانية عشرة في التاريخ المصري القديم، أي حوالي النصف الأخير من القرن الثامن عشر قبل الميلاد^(٤). كما «إن أحدث التحقيقات الأثرية، التي وصل إليها العلماء، تشير إلى أن إبراهيم الخليل (ع) ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أي قبل حوالي أربعة آلاف عام. وهذا ما يتفق مع ما ذكره بعض المؤرخين العرب في تعيين تاريخ عهد إبراهيم الخليل وبين عهد خروج موسى بخمسمئة وسبع وستين سنة^(٥). ولما كان العلماء توصلوا إلى تعيين زمن الخروج بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد، فيكون هذا التحديد متطابقاً، تماماً، مع ما وصل إليه العلماء بتعيين زمن إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد^(٦). وعن آخر ما توصل إليه خبراء الآثار، كتب د. أحمد سوسة: «وقد تمكّن الخبراء الآثاريون من تعيين زمن هجرة إبراهيم الخليل بحوالي سنة ١٩٠٠ ق.م. ويرجح البعض الآخر أن الهجرة وقعت في حوالي ١٨٥٠ ق.م. وقد انتهت البعثة الفرنسية الاستاذ دي فو، في أحدث دراسة قام بها في هذا الموضوع (١٩٦٥)، إلى تحديد عصر إبراهيم الخليل بالقرن التاسع عشر قبل الميلاد، وهذا يقع في أوائل عصر المملكة البابلية القديمة (١٨٩٤ - ١٥٩٥) قبل الميلاد»^(٧).